الفصل السابع

النفوذ الإسلامي في إيطاليا

صقلية نقطة وثوب على ايطاليا ـ ملاءمة الأحوال فى ايطاليا ـ مهاجمة الشواطئ الايطالية ـ امارة برنديزى الاسلامية (٨٣٨ ـ ٨٧٠) ـ قلورية وهزيمة بيزنطة البحرية (٨٣٨) ـ طارانت (٨٤٠) ـ امارة بارة الاسلامية (٨٤١ ـ ٨٧١) ـ المفرج بن سلام ـ غزو روما ـ البابوية تدفع جزية للمسلمين (٨٧٠) ـ امارة جارليانو الاسلامية (٨٨٢ ـ ٩١٥) ـ سقوط ريو (٩٠١) ـ شمالى ايطاليا ـ شاطئ دالماشية ـ انكونا ـ كوماتشيو ـ التوغل فى بيد مونت من فراكسينيتوم ومعاقل الألب الاسلامية ـ مونتفرات واستى واكى ـ حصون العرب على نهر البو ـ مجاهد العامرى وغزو لونى وبيزا (١٠١٥ م) .

obeikandl.com

أما إيطاليا ، فلم تسلم من الغزوات الإسلامية ، واشتدت هذه الغزوات خلال عمليات الغزوات والفتح فى جزيرة صقلية ، وقد اتخذ المسلمون من صقلية ، نقطة وثوب على إيطاليا ، ولم تستطع بيزنطة أن تعمل شيئا ، بسبب انشغالها فى ميادين أخرى (١) ، ولذلك اتجهت البابوية فى إيطالية إلى الفرنجة لحمايتها ، وكان معظم إيطاليا الجنوبية خاضعا لأمراء بنفنتم اللومبارديين، وتعرف إمارتهم فى الكتب العربية باسم : «مملكة اللنبردية أو النوبردية أو الأنبردية»(٢) ، كما كانت هناك جمهوريات إيطالية صغيرة مجاورة لإمارة بنفنتم وهى : نابلى وجايتا Gaeta وسورينتو وأمالفى وسالرنو وكابوا وهذه كلها تتبع الإمبراطورية البيزنطية اسميا ، ويسودها النظام الإقطاعى، وقد عملت هذه الجمهوريات على الوقوف فى وجه أمراء اللومبارد والحيلولة دون توسع أمراء بنفنتم (٣) .

ولما كانت هذه الجمهوريات الإيطالية ، تفتقر إلى مساعدات المسيحين،

---

(١) شغلت الإمبراطورية البيزنطية منذ مطلع القرن الثامن الميلادى فى الحركة اللاايقونية والصراع الداخلى فضلا عن التنافس على العرش ، وضغط الخلافة العباسية ولاسيما وقد قامت ثورة فى بغداد لإعلان الجهاد ضد الروم ، وهناك خطر البلغار المتزايد فى البلقان (راجع : C.med, H., PP. 148 - 149 Lin dsay, pp. 406 - 417;Levtchenko, pp. 135 - 141; Bayet (H. G.) T. 1. pp. 626 - 28, 649 - 51; الحركة اللاايقونية للمؤلف

(٢) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤١٥

(٣) Hunt, P. 13 ; Scott, II, P. 25 ،

وتخشى من كثرة الحروب ، وتقاوم مطامع الأمراء اللومبارديين فى بنفنتم ، فقد اضطرت إلى محالفة المسلمين فى صقلية ، فتحالفت نابلى مع مسلمى صقلية عام ٨٣٠ م أو ٨٣٥ م ، ودام هذا التحالف نحو خمسين سنة رغم احتجاج المسيحيين (١) ويرجع ذلك إلى أن نابلى سئمت من الخضوع لإمارة بنفنتم والإتاوة التى كانت تدفعها لها ، وقدم المسلمون مساعداتهم لجمهورية نابلى ، حين حاصرتها جيوش بنفنتم بقيادة سيكاردوس Sicardus اللومباردى ، ونجحت القوات الإسلامية التى أرسلها أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله (٢٢٠ — ٢٣٦ هـ / ٨٣٥ — ٨٥٠ م) والى صقلية ، فى طرد المحاصرين ، وخلال هذه العمليات ، كان المسلمون يزيدون فى سلطانهم لصقلية (٢) .

وكانت هذه سابقة خطيرة ، لكنها كثيرا ماتكررت ، ولجأت إليها مدن أخرى من مدن الجنوب الإيطالى ، ولاسيما خلال الحرب التى اندلعت بين بنفنتم وسالرنو (٣) . بل إنه حدث خلال الصراع الذى وقع فى عام ٨٣٩ م ، بين الأمراء اللومبارد أنفسهم ، فى بنفنتم ، أن استعان المتنافسون بالمسلمين ، فاستعان بعضهم بالأغالبة فى أفريقية وصقلية ، واستعان البعض الآخر بمسلمى كريت أو مسلمى أسبانيا . وكان من نتيجة هذا الصراع الداخلى أن تمكن المسلمون من اجتياح إيطاليا الجنوبية

---

(١) Scott, II, P. 25

(٢) Scott, II, pp. 26-27, 51

بسرعة (١) ، وامتدت غزواتهم إلى جميع شواطئها المطلة على البحر الأدرياتى ، وعلى البحر التيرانى .

وسوف أتناول المناطق التى انبسطت عليها السيادة الإسلامية ، بحسب تاريخ قيام هذه السيادة ، ولو أن الترتيب التاريخى ، غير مضطرد فى بعض الأحيان ، بسبب أن الغزو الإسلامى كان يقع فى أكثر من جهة واحدة فى وقت واحد ، فضلا عن تكرر الغزوات ، ولذا سوف يكون هذا الترتيب التاريخى بالنسبة للغزو الأول .

فى عام ٨١٢ م هاجم المسلمون لامبدوزا Lampedouza وبوتزا Pozza وإيشيا Ieckia على الشواطىء الإيطالية ، واحتفظوا بها لمدة ثلاثين سنة (٢) ،

وفى عام ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م احتل المسلمون برنديزى Brundisium ، وفشل أمير الجهة فى طردهم ، فأحرقوها وعادوا إلى صقلية ، ثم تكرر الغزو حتى استولوا عليها عام ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م ، وكان عرب كريت بمساعدة عرب صقلية ، هم الذين أتموا فتح برنديزى ، واستمرت سيادة المسلمين عليها إلى عام ٨٧٠ م ، أى نحو ثلاثين سنة ، (٨٤٠ — ٨٧٠ م)(٣)

أما شبه جزيرة كالابريا Calabria ، وهى التى أطلق المسلمون عليها

---

(١) انظر مايلى

(٢) مؤنس ص ١١٢

(٣) أرشيبالد ص ٢١٥ ، كرد على ص ٢٧٦ ، مؤنس ص ١١٢

اسم قلورية ، فقد هاجمها المسلمون وخربوا مدينة كاپوا ، وذلك فى غزوة سريعة (١) ، وقد أشار ابن الأثير إلى الغزوة الكبرى لإقليم قلورية فى حوادث ٢٢٥ هـ (٨٣٩ م) فقال :

« وسار أسطول المسلمين إلى قلورية ففتحها ، ولقوا أسطول صاحب القسطنطينية ،فهزموه بعد قتال ، فعاد الأسطول إلى القسطنطينية مهزوما . فكان فتحا عظيما » . (٢) ، ولم تنقطع غزوات العرب عن قلورية حتى سنة ٨٨٨ م التى انتصر فيها المسلمون على الأسطول البيزنطى ، بعد وفاة الإمبراطور باسل الأول المقدونى (ت ٨٨٦ م) (٣) .

ونجح المسلمون فى احتلال طارانت Tarentum ، عام ٨٤٠ م ، وهى قاعدة بحرية هامة على مدخل البحر الأدرياتى ، وتولى عرب كريت بعد ذلك حكمها حوالى سنة ٨٤٢ م أو ٨٤٣ م ، وقد امتد حكم المسلمين فى طارانت ٤٠ سنة (٤) .

وقد خشى البنادقة على تجارتهم من السيادة الإسلاميه على جنوبى إيطاليا ، فأرسلوا أسطولا مؤلفا من ستين سفينة ، وكان الإمبراطور البيزنطى ثيوفلس (٨٢٩ — ٨٤٢ م) قد أغراهم بالمسلمين ، غير أن أسطول

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤١٠ ؛ مؤنس ص ١١٢

(٢) تاريخ الكامل ج ٦ ص ١٨٢

(٣) أرشيبالد ص ٢٢٠ ـ ٢٢١

(٤) مؤنس ص ١١٢ ، C. Med. H., IV. PP, 149 -150

البنادقه لقى هزيمة منكرة أمام الأسطول الإسلامى فى مياه طارانت ، قرب كرتونا Cortona على خليج طارانت ، ودمر الأسطول البندقى (١) .

وخلال الصراع الذى نشب فى إمارة بنفنتم اللومباردية عام ٨٣٩ م ، استعان المتنافسون على السلطة بالمسلمين فاتجه بعض المتنافسين إلى مسلمى صقلية ، بينما اتجه البعض الآخر إلى أسبانيا أوكريت ، وكان من نتيجة هذا الصراع ، أن استولى المسلمون على بارى Bari وما حولها عام ٨٤١ م وتكونت فى بارى إمارة إسلامية استمرت نحو ثلاثين سنة (٨٤١ — ٨٧١ م) بل نجح المسلمون فى احتلال بنفنتم نفسها لمدة خمس سنوات (٨٤٢ — ٨٤٧ م) (٢) .

وبارى ميناء هامة على مدخل البحر الأدرياتى، فهى تتحكم فيه، كغيرها من الموانى الجنوبية ،ولذلك اتخذها المسلمون قاعدة لغزو البلاد المتاخمة، واشتهر من قادة المسلمين فى بارى المفرج بن سلام ، الذى يقال إنه فتح أربعة وعشرين حصناً ، زمن خلافة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ — ٨٦١ م) ، وكتب ابن سلام إلى صاحب البريد بمصر « يعلمه خبره ، وأنه لايرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام ، (أى خليفة بغداد) ، على ناحيته ويوليه إياها ، ليخرج من حد المتغلبين » (٣) ، وبنى فى بارة ، كما تسميها المراجع العربية، مسجداً جامعاً ، وامتد نفوذه على أشهر بلاد أبوليا ، ثم قتل على يد منافسيه ،

---

(١) أرشيبالد ص ٢١٥ ، كرد على ص ٢٧٦

(٢) كرد على ص ٢٧٦ ، مؤنس ص ١١٢

(٣) البلاذرى ق ١ ص ٢٧٧

وخلفه شخص يسمى سوران ، فبعث إلى الخليفة المتوكل ليعقد له على ولاية بارة ، ولكنه مات قبل أن يبرح رسوله إلى الشرق (١) .

ويبدو أن المفرج بن سلام وسوران ، من أهل كريت ، ولا صلة لهما بالأغالبة ، وأنهما عمدا إلى الخلافة العباسية فى بغداد يراجعانها مباشرة ، لتصح ولايتها (٢) .

واشتهر حاكم بارة المسلم بالتسامح ، حتى إنه كان يشجع الحجاج المسحيين ويساعدهم على الرحلة إلى فلسطين ، بتيسير حصولهم على السفن وتسهيل مرورهم على البلاد التى يجتازونها ولاسيما مصر (٣) .

وتعرضت روما كذلك إلى غزوات المسلمين عام ٨٠٩ م ، ويقال إن الغزوة وقعت فى يوم السبت فى عيد الفصح فى ذلك العام، ولم يسيئوا إلى البابا ليو الثالث اكبر سنه (٤) ، وتكرر الغزو فى عام ٨٤٦ م ، وهاجم المسلمون الأراضى البابوية، وهزموا إحاميات كيفيتا فكيا Civita Viccia ونوفا أوستيا Nova Ostia ، ووصلوا فى هذه الغزوة إلى ضواحى مدينة روما وحاصروها ، فاضطرب البابا سرجيوس الثانى ، وحينئذ أسرع الإمبراطور لويس الثانى الكارولنجى ملك الفرنجة واللومبارديين ، وأرسل حملة لقتال المسلمين ، كما أعد حلف كامنيا المكون من نابلى

---

(١) البلاذرى ق ١ ص ٢٧٧ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤١٠ ، أرشيبالد لويس ص ٢١٥

(٢) كرد على ص ٢٧٧

(٣) أرشيبالد لويس ص ٢٧٥

(٤) Deanesly, p. 875

وأما لنى وجانيا ، أسطولا بحريا لمطاردتهم ، فاضطر العرب لرفع الحصار بعد قتال عنيف ، وعادوا محملين بالغنائم (١) .

وجرت غزوة إسلامية أخرى لمدينة روما ، وقعت فى عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م ، وقوامها قوات من الأندلس وأفريقية، وكان حلف كامنيا حليفاً للمسلمين فى ذلك الوقت ، ولذلك تمكن المسلمون من الوصول إلى ضواحى روما ، فاضطر البابا حنا الثامن إلى مفاوضتهم فى الصلح والجلاء مقابل دفع جزية سنوية قدرها مائة ألف مثقال ذهب ، وكان ذلك بعد أن طالت جهود البابا فى إثارة شارل الأصلع الفرنجى (٨٥٥ — ٨٧٧ م) ، رغم أن البابا توجه إمبراطورا فى روما فى يوم عيد الميلاد سنة ٨٧٥ م بعد وفاة لويس الثانى ، والواقع أن شارل الأصلع لم يضارع فى الكفاية سلفه لويس الثانى ، فلم ينهض لإنقاذ البابوية ، كما أن بيزيطة كانت حانقة على البابوية لاتجاهها إلى الفرنجة ومن ثم تعرضت الشدة البابوية Holy see لخطر المسلمين .(٢)

على أن الغزو الإسلامى لم ينقطع عن إيطاليا ، وكلما ازداد تنافس الأمراء المحليين فى إيطاليا كثرت الغزوات الإسلامية ، فازداد الضغط الإسلامى على الشاطىء المغربى لإيطاليا بصفة خاصة ، وتوالت الغارات على مدن كامبنيا Campagne ، ونهب المسلمون جايتا Gaeta وسالرنو Salernum ، وهاجموا نابلى وكابوا ومونت كاسينو ، واحتلوا منطقة

---

(١) كرد على ص ٢٧٨

(٢) لوبون ص ٣٠٢ ، أرشيبالد لويس ص ٢١٩ ، كرد على ص ٢٧٨ ،
Hunt, p. 14 . Deanesly, P. 456; Scott, II, PP. 63; 51

ميزونيوم Misenium تحت أسوار نابلى ، وأشهر الغزوات التى اجتاحت هذه المناطق ، كانت فى سنوات ٨٥٦ ، ٨٦٨، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٨٣ م (١)

وعند مصب نهر جارليانو Garilano أسس المسلمون إمارة إسلامية عام ٨٨٢م أو ٨٨٣م وأضحت هذه الإمارة مركزا لتهديد مستمر للولايات البابوية ، واستمرت هذه الإمارة نحو أربعين سنة (٨٨٢ — ٩١٥م) (٢)

وفى مطلع القرن العاشر الميلادى ، نجح المسلمون فى الاستيلاء على مدينه ريو Reggio فى قلورية ، وذلك بقيادة أبى العباس فى سنة ٩٠١م ، الذى بنى فيها مسجداً كبيراً ، وشرط على أهلها ألا يمنعوا المسلمين من عمارة هذا المسجد ، أو الاختلاف إليه لتأدية الصلاة ، كما حرم على المسيحيين دخوله ، واشترط كذلك أن من يدخله من أسرى المسلمين فهو آمن ، وإن خرب النصارى فيه حجرا هدمت كنائسهم كلها بصقلية ، وقد وفى سكان ريو بهذه الشروط ؛ غير أن المسجد لم يستمر عامرا أكثر من أربع سنوات ، وكان البابا حنا الثامن عشر قد استعان بالبيازنة لتحرير مدينة ريو من المسلمين(٣) .

على أن غزوات المسلمين ، لم تقتصر على جنوبى إيطاليا ووسطها ، فقد امتدت إلى شمالى إيطاليا كذلك ، لكن يلاحظ أن هذه الغزوات ؛ فى

---

(١) مؤنس ص ١١٣ ، Scott, II, p. 35, Deanesly, p 450

(٢) كرد على ص ٢٧٧ — ٢٧٨ ، Hunt, P. 13 , Scott, II, P. 35

(٣) كرد على جـ ١ ص ٢٧٨ ، كايليا ص ٢٠٠ C. Med. H., IV, P. 141

تلك الأصقاع ، لم تؤد إلى إنشاء إمارات إسلامية فى الأرض الإيطالية ، كما هو الشأن فى الجنوب ، ومع ذلك فقد كانت غزوات ملحة .

وأول غزوة فى شمالى إيطاليا ؛ كانت عام ٧٣٥ م ، على أثر وقعة بلاط الشهداء فى فرنسا (٧٣٢ م) ؛ وفيها توجه عقبة بن الحجاج السلولى ، على رأس جيش ودخل بيدمونت وغنم منها ، ولكنها كانت غزوة سريعة(١) ثم فترت حركات المسلمين فى شمالى إيطاليا مدة من الزمن .

وفى عام ٨٣٤ م ، غزا المسلمون ثغر جنوه ، وتكرر الغزو فى العام التالى ، وغنم منها المسلمون وعادوا(٢) . ولكن سواحل البحر الأدرياتى الشمالية استهدفت لأكثر من غزوة ، منذ عام ٨٤٠ م ، فقد حدث على أثر اشتراك البنادقة فى العمل على طرد المسلمين عقب استيلائهم على طارانت عام ٨٤٠ م ؛ أن توجهت الأساطيل الإسلامية فى البحر الأدرياتى إلى ساحل دالماشيا ونهبت مدينة أوزيرو Osro فى جزيرة خرسو Gherso التابعة للبنادق ، وأسروا عدداً من سفن البندقية ، كما أسروا كثيراً من أهل أنكونا ، ولم تسلم البندقية نفسها من الغزو(٣) .

وعند مصب نهر البو ، يقع ثغر كوماتشيو Gomacchio ، وهذا بدوره تعرض للغزو الإسلامى عام ٨٧٥ م كما تكرر غزو البندقية ،

---

(١) فجر الأندلس ص ٢٨١

(٢) المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص ١١٣ ، كرد على جـ ١ ص ٢٧٧

(٣) أرشيبالد ص ٢١٥ — ٢١٩ ، كرد على جـ ١ ص ٢٧٦ — ٢٧٧

Scott, II, P. 85

وتوغل المسلمون فى غزواتهم فى الداخل حتى وصلوا إلى حدود استريا Istria ، مما أدى إلى تعطل تجارة إيطاليا البحرية(١) .

ومنذ استقرار المسلمين فى قلعة فراكسينيتوم حوالى ٨٩٠ م ، لم تنقطع الغارات الإسلامية عن شمالى إيطاليا وماحولها من الجهات . فتحكم المسلمون فى ممرات جبال الألب ، وعبروا ممر مونت سنى Mont Cenis عام ٩٠٦ م ، فهرب رهبان دير نوفاليز Novalese - على حدود بيد مونت إلى تورين . واستطاع بعض أهالى تلك المناطق أن يقبضوا على فريق من الغزاة المسلمين ، فى مدينة تورين ، لكن هذا الفريق تمكن من الإفلات(٢) .

ولم يستطع العابرون والمسافرون أن يجتازوا من مضايق الألب ، إلا إذا كانوا مسلحين أو أخذوا إذنا من العرب المتحكمين فى جميع الممرات ، أو دفعوا رسما نظير مرورهم .

وكثرت غاراتهم فى شمالى إيطاليا ، فهاجموا مونتفرات Montferrat ومدينة أستى Asti وآكى Acqui ، والأخيرة مشهورة بحماماتها المعدنية ، ووصلوا إلى حدود ليجوريا Liguria ودخلوا جنوة عنوة(٣) .

وللعرب حصون فى منطقة بيد مونت ، منها حصن فرسكنديلوم Fracenedellum قرب كازل Casal على نهر البو ، ويسمى كذلك حصن

---

(١) أرشيبالد ص ٢١٨ - ٢١٩ ، Scott, II, P. 36

(٢) غزوات العرب ص ١٦٧

(٣) غزوات العرب ص ١٧٠ - ١٧١ (عن ليتوبراند) ، المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط ص ١٣٠

فراكسينتوم ، ويقال إن مكانه الآن مدينة فنسترال Fenestralle(١) .

• • •

وجاء دور مدينة لونى Luni على ساحل إيطاليا الغربى ، فى مطلع القرن الحادى عشر ،وذلك على يد مجاهد العامرى ، وكان موقع هذه المدينة هاما كمركز تجارى وصناعى ، لاشتهارها بصناعة الرخام ، ولها علاقات تجارية نشطة مع روما والجزر التسكانية وجزيرة قورسيقة ، وفرغ مجاهد من غزو جزيرة سردانية ١٠١٥ م وتوجه إلى لونى واستولى عليها ، واتخذ منها قاعدة لأعماله الحربية فى إيطاليا ، وكان هجوم مجاهد على لونى آخر هجوم إسلامى على هذه المنطقة ، إذ كان رد الفعل عميقا عند المسيحية(٢)

ولما كانت حراسة بيزا ضعيفة فى ذلك الوقت ؛ نظرا لأن قوات البيزنتة كانت قد توجهت نحو الجنوب بدعوة من البابا حنا الثامن عشر لتخليص مدينة ريو من قبضة المسلمين ؛ فى ذلك الوقت ؛ هاجمها مجاهد العامرى واحتل حيا من أحيائها وأحرقه ، ولكنه عجز عن احتلال المدينة كلها ، لسبب شجاعة امرأة مواطنة فيما يقال ؛ إذ سمعت أصواتا غريبة فى جنح الليل حين اقتحم مجاهد بسفنه نهر الأرنو Arno ؛ فهبت هذه المرأة ، وتوجهت إلى منزل حاكم المدينة وأفضت إليه بالخبر ؛ فنهض على الفور لدفع العدو المهاجم ؛ وتعرف هذه المرأة باسم كيوسكا جيزموندى Chiusica Gismondi (٣) .

---

(١) غزوات العرب ص ١٧٥ (عن مؤرخ دير نوفاليز ، وهو معاصر للحوادث لكنه متعصب ومتطرف)

(٢) كليليا ص ١٩٨ ـ ١٩٩ ؛ مؤنس ص ١١٦

(٣) كليليا ص ٢٠٠